

جموع التكسير بين القلة والكثرة في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم

(دراسة في البنية والدلالة)

Alfan Putra*, Mustafa

Institut Agama Islam Negeri (IAIN) Palopo

E-mail*: muh_alfan_putra@iainpalopo.ac.id

الملخص

يذهب اللغويون إلى أن هناك أوزاناً خاصة بجمع التكسير بعضها يدل على القلة والقسم الآخر يختص بالدلالة على الكثرة. ويرى بعضهم أن دلالة القلة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى العشرة، وأن دلالة الكثرة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى ما لا نهاية. وبعضهم يرى أن القلة تنحصر دلالتها بين الثلاثة إلى العشرة، أما الكثرة فتتخصص دلالتها العددية بين ما فوق العشرة إلى غير نهاية. وعلى هذا تهدف الدراسة إلى معرفة عدة ألفاظ جموع القلة مقابل الكثرة الواردة في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم مبينا دلالتها اللغوية، وكذلك معرفة أقسام هذه الجموع حسب بنيتها النحوية. اعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي، تظهر النتائج أن جموع التكثير القلة والكثرة في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم انقسم إلى الأوزان الأربعة: صيغة (أفعل)، صيغة (أفعال)، صيغة (أفعل)، صيغة (فعل). وأن جمع التكسير قد تغير لفظه أو تقديره، ومن أشكالها ما تم بزيادة ومنها ما تم تغييره بنقص ومنها ما تم تغييره وتبديل شكله ومنها ما تم بنقص وتبديل شكل ومنها ما تم بالزيادة والنقص والتبديل مجتمعة، وأن هذا التغيير بعضها يدل على القلة والقسم الآخر يختص بالدلالة على الكثرة.

الكلمات المفتاحية: جموع التكثير، جمع القلة، جمع الكثرة، العلاقات الاجتماعية في القرآن.

**The Plural between the Few and the Many in the Field of Social Relations in
the Holy Qur'an
(A Study in Grammatical Structure and Semantics)**

Abstract

Linguists say that there are special weights for the plural, some of which indicate the scarcity, and the other part is specific to the indication of abundance. Some of them believe that the sign of numerical paucity is limited to three to ten, and that the sign of numerical abundance is confined to three to infinity. Some of them believe that the meaning of the few is limited to between three to ten, while the abundance is limited to its numerical significance between what is above ten indefinitely. Accordingly, the study aims to know the number of plurals of few versus many in the field of social relations in the Holy Qur'an, showing their linguistic significance, as well as knowing the divisions of these plurals according to their grammatical structure. Depending on the descriptive analytical approach, the results show that the multiplicity, the few, and the many in the field of social relations in the Holy Qur'an were divided into four weights. And that the plural has changed its wording or appraisal, and among its forms is what has been done with an increase, and some of it has been changed with a decrease, and some of it has been changed its form, and some of it has been done with a decrease and a change of form, and some of it has been done with an increase, a decrease and a change combined, and that this change some of them indicates the lack and the other section is concerned with the significance over abundance.

Keywords: *plural multiplicity, plural of few, plural of many, social relations in the Qur'an.*

المقدمة

يعرف جمع التفسير بأنه «كل جمع تغير فيه نظام الواحد وبنائه»⁽¹⁾. لفظاً أو تقديراً⁽²⁾. وقد ذكر الأشموني (المتوفى: 900هـ) ستة أقسام للتغيير اللفظي هي: الأول: ما تم بزيادة نحو (صِنُو-صِنُون)، والثاني: ما تم تغييره بنقص نحو (نُحْمَة-نُحْم) والثالث: ما تم تغييره وتبديل شكله نحو (أَسْد-أُسْد)، والرابع: ما تم تغييره بزيادة وتبديل الشكل نحو (رَجُل-رِجَال)، الخامس: ما تم بنقص وتبديل شكل نحو (قَضِيب-قُضْب)، والسادس: ما تم بالزيادة والنقص والتبديل مجتمعة نحو (غُلام-غِلْمَان)⁽³⁾. أما التغيير التقديري ففي نحو: فلك، هجان، شمال، دلاص⁽⁴⁾.

فهذه الألفاظ صالحة للدلالة على المفرد والجمع باللفظ نفسه بلا تغيير من زيادة أو نقصان أو تبديل شكل. الصرفيون يقدرون لها في المفرد وزن وفي حالة الدلالة على الجمع وزناً آخر. فمثلاً (دِلاص) فتقدير وزنها (كِتاب)، ووزنها-دالة على الجمع-(رِجال)⁽⁵⁾. وهكذا يتم تحديد دلالة هذا اللفظ-على الجمع أو المفرد-تأسيساً على إرادة المتكلم وذلك بما يقترن من قرائن لغوية وموصولة إلى ما أراد تحديده من معنى معين مقصود.

وقد جمع السيوطي (المتوفى: 911هـ) هذه الأقسام عندما ذكر تقسيم جمع التفسير نقلاً عن ابن الدهان حيث قال: «جمع التفسير على أربعة أضرب: أحدها: ما لفظ واحده أكثر من لفظ

(1) ابن جني، أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ): اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس، الأردن، ط1، 1988م، ص22

(2) خديجة عبد الرزاق الحديشي (دكتورة): أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1385هـ-1965م، ص292.

(3) انظر: الأشموني، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الأشموني الشافعي (المتوفى: 900هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، ج3، ص674.

(4) انظر: المرجع السابق.

(5) انظر: الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج3، ص674.

جمعه نحو: كتاب وكتب. والثاني: ما لفظ جمعه أكثر من لفظ واحد، كفلس وأفلس، مسجد ومساجد. والثالث: ما واحده وجمعه سواء في العدة اللفظية لا في الحركات نحو أسد وأسد، سقف وسقف. والرابع: ما واحد وجمعه سواء في العدة اللفظية والحركات نحو: ناقة هجان ونوق هجان، درع دلاص وأدرع دلاص⁽¹⁾.

يذهب اللغويون إلى أن هناك أوزاناً خاصة بجمع التكسير بعضها يدل على القلة والقسم الآخر يختص بالدلالة على الكثرة. ويرى بعضهم أن دلالة القلة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى العشرة، وأن دلالة الكثرة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى ما لا نهاية⁽²⁾. وبعضهم يرى أن القلة تنحصر دلالتها بين الثلاثة إلى العشرة، أما الكثرة فتتضمن دلالتها العددية بين ما فوق العشرة إلى غير نهاية⁽³⁾. وباجتماع الرأيين نجد أن هناك اختلافاً واضحاً بين اللغويين أنفسهم في تحديد الدلالة العددية للقلة والكثرة.

يضاف إلى ذلك أن هناك ألفاظاً كثيرة دالة على الجمع ليس فيها سوى وزن واحد وصيغة واحدة في الجمع سواء أكانت دالة على قلة أم على كثرة، مثال ذلك: رجل-أرجل، قلب-قلوب، قلم-أقلام، وغيرها.

ويعلل أبو البركات الأنباري (المتوفى: 577هـ) لذلك بقوله: «لأن معنى الجمع مشترك في القليل والكثير»⁽⁴⁾. وقد أوضح ابن يعيش (المتوفى: 643هـ) ذلك القول حيث فصل فيه قائلاً: «إن الجموع قد يقع بعضها موضع بعض ويُستغنى ببعضها عن بعض ألا ترى أنهم قالوا رسن

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ): الأشباه والنظائر في النحو، تقديم الدكتور فايز ترميني، ط1، 1984م، ج2، ص153.

(2) انظر: عباس حسن (المتوفى: 1398هـ): نحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط1، ج4، ص627.

(3) انظر: الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي أبو القاسم (المتوفى: 337هـ): الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ - 1984م، ص372.

(4) الأنباري، الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (المتوفى: 577هـ): أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، 1957م، ص358.

وأرسان، وقلم وأقلام، واستغنوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة. وقالوا رَجُلٌ رِجَالٌ، وسبع وسباع ولم يأتوا لهما ببناء قلة. وأقيس ذلك أن يُستغنى بجمع الكثرة عن القلة لأن القليل داخل في الكثير⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن المتغير دلالة البناء أو وزنه. قد تعطي القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لضرب من البلاغة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261] وبين قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَفْتُونِ فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43]. فالعدد واحد هو (سبع) ولكنه استعمل معه جمع الكثرة مرة (سنابل) وجمع القلة مرة أخرى (سنبلات) والسبب في ذلك «أن الآية الأولى سيقّت في مقام التكثير والمضاعفة فجاء بها على (سنابل) لبيان التكثير وأما قوله (سبع سنبلات) فجاء بها على لفظ القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير⁽²⁾».

ومن هنا نذكر عدة ألفاظ جموع القلة مقابل الكثرة الواردة في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم مبينا دلالتها اللغوية، ونقسمها حسب أوزان التالية:

أولاً: صيغة (أفعل)

وقد وردت هذه الصيغة في عدة مواضع في القرآن الكريم، ويرى اللغويون أنه يجمع على (أفعل) ما كان (فعل) اسماً صحيح العين غير صفة نحو: أنهر، أبحر، أنجم، وغير ذلك، وقد ورد في حقل العلاقات الاجتماعية نحو:

(1) شرح المفصل، ج5، ص 11.

(2) السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط2، 1428هـ - 2007م، ص 138-139.

قوله تعالى في حقل العلاقة بين المسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29] وبين قوله تعالى في حقل العلاقة بين الآباء والأبناء: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: 24-25]

جاءت كلمة (نفس) جمع في سورة النساء (الأنفس) على وزن (أفعل) وهي من جموع القلة، في حين جمع في سورة الإسراء (النفوس) على وزن (فُعول) وهذا الوزن من أوزان جموع الكثرة. وهكذا نرى أن دلالة (أنفس) في سورة النساء دلت على النفس الإنسان أي كانت تتعلق بعدد قليل من الإنسان. فناسب المقام اختيار وزن من أوزان جموع القلة. أما النفوس في سورة الإسراء فكانت تتعلق بنفوس الناس أجمعين، فناسب ذلك المقام اختيار وزن من أوزان جموع الكثرة.

وقوله تعالى في وصف المؤمنين الذين أنفقوا مما رزقهم الله، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 16-17]. وبين قوله تعالى في قصة موسى مع السحرة فرعون، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 115-116].

وقد وردت لفظة (أعين) على صيغة (أفعل) في عدة مواضع في القرآن الكريم، ففي سورة السجدة جاءت للدلالة على القلة مما يدل على ذلك جاءت بضمير قلة (هم) وهو ضمير الذكور. وهذا جارٍ على وفق قاعدة التعبير في العربية والتي تفيد أن المذكور يؤتى به للدلالة على

القلة⁽¹⁾. في حين سورة الأعراف جاءت مضاف إلى كلمة (الناس) فهذه دلالة صريحة على أنه أراد بها الكثرة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 120-121]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: 20].

والملاحظ في الآيات أن لفظ النعمة جمع في سورة النحل (أنعم) على وزن (أفعل) وهو من جموع القلة، وفي سورة لقمان (نعم) على وزن (فعل) وهو من جموع الكثرة، والسر في ذلك جمع النعمة في آية النحل جمع قلة (أنعم) وجمعها في لقمان جمع كثرة (نعم)، وذلك أن نعم الله لا تحصى، فلا يطيق الإنسان شكرها جميعها، ولكن قد يشكر قسماً منها؛ ولذلك لما ذكر إبراهيم وأثنى عليه قال: إنه شاكر لأنعمه، ولم يقل: لنعمه؛ لأن شكر النعم ليس في مقدور أحد، بل إن إحصاءها ليس في مقدور أحد فكيف شكرها. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾. أما الآية الثانية فهي في مقام تعداد نعمه وفضله على الناس فقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ فذكرها بزنة جمع الكثرة.

ثانياً: صيغة (أفعال)

وردت هذه الصيغة في كثير من الآيات في القرآن الكريم، ومما يجمع على هذا الوزن نحو: وقت - أوقات، وصف - أوصاف، وزن - أوزان، وكر - أوكار. وقد ورد في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم نحو التالي:

(1) انظر: السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، ط4، دار عمار، عمان، 1427هـ-2006م، ص 159

قوله تعالى في حقل العلاقة الاجتماعية بالكافرين: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مِنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ﴾ [محمد:4] وبين قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل:25].

لفظة (أوزار) على وزن (أفعال) في سورة النحل مضافة إلى ضمير الذكور، وذلك دلت على القلة على وفق قاعدة التعبير العربية التي أوضحناها سابقاً، أما كلمة (أوزار) في سورة محمد أفادت معنى الكثرة حيث أراد بالأوزار هنا آلات الحرب وأثقالها التي لا تقوم إلا بها. «ومن جانب آخر أنه أضاف كلمة (أوزار) في الآية إلى ضمير الإناث. وهذا جارٍ وفق قاعدة التعبير في العربية التي تفيد أن المؤنث يؤتي به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر»⁽¹⁾.

وقوله تعالى على مستوى الآباء والأبناء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة:23] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:22]، وقوله سبحانه: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب:5].

ففي هذه المواضع الثلاثة دلت لفظة (آباء) على القلة بدليل إضافتها إلى ضمير جماعة الذكور، وجمع التكسير إذا أضيف إلى ضمير جماعة الذكور دل على القلة، وكذلك الأمر في بقية المواضع التي وردت فيها.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ * إذ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:9-10].

(1) انظر: السامرائي، التعبير القرآني، ص 159

وبين وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فَانجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿[العنكبوت: 14-15].

فـ(أصحاب) هنا وردت على صيغة رباعية (أفعال) دلت على القلة في سورة الكهف بدليل أن أصحاب الكهف لم يكونوا كثرة فقد «قال المسلمون: كانوا سبعة وثمانهم كلبهم، فحق الله قول المسلمين، وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله عن لسان جبريل، وعن علي: هم سبعة نفر»⁽¹⁾. إذن فهم لم يتجاوز عددهم العشرة. في حين استخدمها في قوله تعالى في سورة العنكبوت للدلالة على الكثرة فـ«أصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفساً، ونصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح عليه السلام: سام وحام ويافث ونساؤهم. وعن محمد بن إسحاق: كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة»⁽²⁾. هكذا تتنوع دلالة هذه اللفظية بين القلة والكثرة حسبها ما يقتضي السياق الذي ترد فيه.

وقوله تعالى في حقل العلاقة بين المسلمين: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188]. وقوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2].

فهنا دلت لفظة (أموال) على القلة، وقد ذكر ذلك الزمخشري (المتوفى: 538هـ) حيث قال: «لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة»⁽³⁾ وقال في حاشيته «قال أحمد وأهل البيان يقولون المنهي متى كان درجات فريق البلاغة النهي عن أدناها تنبيهاً على الأعلى»⁽⁴⁾.

(1) الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج3، ص 675.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 446.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 495.

(4) المرجع السابق، ج1، ص 465.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 30-31]. فهنا دلت لفظة (أسماء) على الكثرة بدليل توكيده بلفظ (كل) الدالة على الشمول.

وقوله تعالى في حقل بين المسلمين وغيرهم: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْتَدِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 93-94] وبين قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: 4-5].

وردت لفظة (أخبار) على وزن (أفعال) والتي مفردتها (خبر) على وزن (فعل) دالة على القلة في سورة التوبة بدليل إضافتها إلى ضمير الجماعة، وورد (من) التبعيضية قبلها. في حين استخدم اللفظة ذاتها في قوله في سورة الزلزلة للدلالة على الكثرة، إذ المعنى «يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها، كما تقول: نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين»⁽¹⁾.

ثالثاً: صيغة (أفعله)

يطرد هذا الجمع في الاسم المذكور الرباعي الذي قبل آخره حرف مدّ مثل: طعام وأطعمة، وغراب وأغربة، ورغيف وأرغفة، وعمود وأعمدة، وزمان وأزمنة، وجنين وأجنّة،

(1) انظر: الزيايدي، التعبير القرآني، ص 16.

ومَصِيرٍ وَأَمِصْرَةٍ، وغيرها⁽¹⁾. ومما ورد في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم من ألفاظ على هذه الصيغة نحو:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 32-34].

ورد لفظه (أَعْرَآة) على هذه الصيغة، فقد دلت هنا على القلة لأنه قصد بها أشرف القوم⁽²⁾، ومعلوم أن هؤلاء ليسوا كثرة. وكذلك لفظه (آذِلَّة) فقد استخدمها للدلالة على القلة لأنها تقابل لفظه (أَعْرَآة).

ومما ورد في حقل العلاقة بين المسلمين وغيرهم: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَعَفَّلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: 102].

فقد استعملت لفظه (أسلحة) وهي على وزن (أفعله) للدلالة على القلة بدليل إضافتها إلى ضمير الجمع.

كذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25].

ورد فيه لفظه (أَكِنَّة) فقد استعملت على الأصل للدلالة على العكس.

(1) انظر: الأشموني، شرح الأشموني، ج3، ص676.

(2) انظر: الزنجشيري، الكشف، ج3، ص147.

وورد في نفس حقل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: 12].

فقد استعملت لفظة (أئمة) للدلالة على القلة بدليل أنهم من أشرف القوم، ومعلوم أن هؤلاء ليسوا كثرة.

رابعاً: صيغة (فعللة)

تشمل هذه الصيغة الرابعة من صيغ الجموع ولم يطرد هذا البناء في شيء حتى جعله بعضهم اسم جمع لا جمع، في نحو: فتية، غلطة، إخوة، جيزة⁽¹⁾. وقد وردت ألفاظ في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم على هذا البناء منها:

قوله تعالى في حقل العلاقة الاجتماعية على مستوى صلة الأرحام: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: 58] وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100].

جاءت لفظة (إخوة) على وزن (فعللة) وقد دلت على الكثرة في هاتين الآيتين، وذلك لأن إخوة يوسف كما هو معلوم كانوا أحد عشر أخاً، أي أنهم يدخلون ضمن حدود الكثرة، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى إنه قد أضيفت إلى المفرد، وفي التعبير العربي أن الجمع إذا أُضيفت إلى المفردة دلَّ على الكثرة⁽²⁾.

(1) انظر: الأشموني، شرح الأشموني، ج3، ص 678.

(2) انظر: السامرائي، التعبير القرآني، ص 159.

الخاتمة

توصل البحث إلى ما يلي:

قد تبين لنا أن جمع التكسير قد تغير لفظه أو تقديره، ومن أشكالها ما تم بزيادة ومنها ما تم تغييره بنقص ومنها ما تم تغييره وتبديل شكله ومنها ما تم بنقص وتبديل شكل ومنها ما تم بالزيادة والنقص والتبديل مجتمعة. وهذه الألفاظ صالحة للدلالة على المفرد والجمع باللفظ نفسه بلا تغيير من زيادة أو نقصان أو تبديل شكل.

هناك أوزاناً خاصة بجمع التكسير بعضها يدل على القلة والقسم الآخر يختص بالدلالة على الكثرة. وأن دلالة القلة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى العشرة، وأن دلالة الكثرة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى ما لا نهاية.

هناك ألفاظاً كثيرة دالة على الجمع ليس فيها سوى وزن واحد وصيغة واحدة في الجمع سواء أكانت دالة على قلة أم على كثرة. وأن المتغير دلالة البناء أو وزنه قد تعطي القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة.

ومن بين ألفاظ جموع القلة مقابل الكثرة الواردة في حقل العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم أوزان التالية: صيغة (أفعل)، صيغة (أفعال)، صيغة (أفعله)، صيغة (فعله).

المراجع

- القرآن الكريم
- ابن جني، أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ): اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس، الأردن، ط1، 1988م.
- خديجة عبد الرزاق الحديثي (دكتورة): أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1385هـ-1965م.
- الأشموني، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الأشموني الشافعي (المتوفى: 900هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، ج3.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ): الأشباه والنظائر في النحو، تقديم الدكتور فايز ترميني، ط1، 1984م، ج2.
- عباس حسن (المتوفى: 1398هـ): نحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط1، ج4.
- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي أبو القاسم (المتوفى: 337هـ): الجمل في النحو، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ - 1984م.
- الأنباري، الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (المتوفى: 577هـ): أسرار العربية، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، 1957م.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط2، 1428هـ - 2007م.
- السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، ط4، دار عمار، عمان، 1427هـ - 2006م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.
- الزبيدي، حاكم مالك: الترادف في اللغة، دار الحرية، بغداد، 1980م.